أ ب ب

اختيـار الزوجـة

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنـزيل : ﴿ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ﴾ [التحريم:٦].

نحن في سلسلة الأسرة والتربية، وسبب اختياري لهذه السلسلة: أن الحرب على الإسلام معلنة، فقد حاربونا بالطائرات، وحاربونا بالجيوش، وحاربونا بالثقافات، واليوم يحاربوننا حربَ تربية، يريدون من بيوتنا أن تتنازل عن التربية, ويريدون من مدارسنا أن تـُسقِطَ حِصَصَ التربية الدينية, ويريدون إلغاء كليات الشريعة، ويريدون إيقاف معاهد تعليم القرآن الكريم؛ لأنهم يخططون للأجيال القادمة، يريدون أن ينشأ أولادنا منذ نعومة أظفارهم على الخضوع، وعلى الركوع، وعلى الاستسلام لأعداء المسلمين، ولما كان

حربُ الطائرات يُرَدُّ عليها بالطائرات، وحرب المال يرد عليها بالمال، فحرب التربية يرد عليها بالتربية، (الأسرة والتربية) وهذه هي الخطبة الثالثة في هذه السلسلة, وعنوان خطبة اليوم**: اختيار الزوجة**.

وذلك لأن اختيار الزوجة هو اختيار لطبيعة أولادك، عندما تختار زوجتك فأنت تختار كيفية تربية أولادك, قال رسول الله ﷺ : «تخيَّروا لنطفكم فانكِحوا الأكفاء وانكحوا إليهم»[1] يعني تزوجوا الأكفاء وزوجوهم، وقال رسول الله ﷺ: «اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة»[2] وقال رسول الله ﷺ: «تخيروا لنطفكم, فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن»[3]

أيها الإخوة الكرام: لا يختلف عاقلان على أن الزوجة التي ستصير أماً، هي المربية الأولى في البيت، هي نعيم البيت وجِنَانُه، وهي عذاب البيت ونيرانه، هي أم أولادك التي ستهزُّ سريرهم بيمينها، لكنها ستهز العالم بيسارها، هي أصل التنشئة الحسنة إذا صلحت، وأصل التربية السيئة إذا فسدت، إن اختيار الزوجة هو

---

[1](?) أخرجه ابن ماجة: 1968، والبيهقي في "السنن الكبرى " 13536، من حديث عائشة ل.

[2](?) أخرجه الدار قطني: 196، من حديث عائشة ل.

[3](?) أخرجه ابن عساكر عن عائشة ، كنز العمال (ج16/ص316)

أكثر الاختيارات أهميةً على الإطلاق، وخيرُ من تختار من النساء مَن جَمَعَتْ خمسَ خصال: «من كانت شريفةً, جميلةً, دَيِّنةً, ذاتَ خُلُقٍ مطيعةً», خير النساء اللواتي يصلحن أزواجاً، أما الشريفة فالمراد بها أن تكون من أسرة عريقة، عُرِفَتْ بالصلاح والخُلُق، وأصالة الشرف، -الأرومة هي الأصل- لأن علم الوراثة اليوم قرَّر بأن الأولاد يتلقون من آبائهم وأمهاتهم، وأعمامهم وأخوالهم، وأجدادهم وأصولهم عامةَ مزايا يأخذونها, فالولد يتأثر من الأصل الذي خرج منه، وأنتم تقرؤون في سورة الكهف يوم الجمعة في قصة الخضر مع موسى عندما أقام الجدار قال له الخضر: ﴿ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ﴾ [الكهف:٨٢] قال المفسرون: ببركة صلاح الأب حُمِيَ الأولاد، وقالوا: هذا الأب لم يكن الأبَ المباشِر، بل الجدَّ السابع، ببركة الجد السابعِ حمى اللهُ الأولادَ من نسله! لذلك لا بد أن تختار المرأةَ الشريفة، فعندما يجتمع في الولد عاملُ الوراثة الصالحة، وعاملُ التربية الناجحة، يصل الولد إلى القمة في الدين والخلق.

وأما المرأة الجميلة فتختارها, لأنها تسرُّ زوجَها إذا نظرت إليه وإذا نظر إليها، لكن معيار الجمال مختلف، فالذي يراه رجلٌ جميلاً، يراه غيرُه غيرَ

جميل، وربما رأت الأم فتاة جميلة اختارتها لولدها، لكن الولد لم ير هذه الفتاة جميلة، وربما كان العكس، فكم من ولد اختار فتاة يراها جميلة قالت له أمه: إنها غير جميلة، فمعيار الجمال مختلف، والشريعة أرادت للزوج أن يختار امرأة جميلة، يرتاح لرؤيتها، ويُسَرُّ بجمالها.

ولكن انتبهوا فالأمر خطير فإنه يُشترط في الجميلة ثلاثة أمور إن كانت موجودة في جمالها فبها ونعمت, وإن لم تكن موجودة فالأمر على غاية في الخطورة, -يشترط في الجميلة ثلاثة أمور-:

الأمر الأول: أن يكون جمالها لزوجها ولبيتها، لا أن يكون جمالها معروضاً للعامة فتكونَ للجميع! ذكروا أن رجلاً طُلِبَ منه أن يختار زوجته من طائفة من الفتيات الفاتنات، وكُنَّ على مقربة منه، فأرسل بنظره إلى قمة جبل شاهق وقال: أختار أن أتزوج تلك المرأة التي تقف فوق تلك القمة، لأنها صعبة المنال، بعيدة عن الأنظار، أما إذا كانت الجميلة قريبةَ المنال، قريبةً من الأنظار، فهذا أمر خطير-

الأمر الثاني: أن لا تكون مفتونةً بجمالها، معتدةً به، تمتنُّ على زوجها ليل نهار بجمالها، تقول له إنها

تفضلت عليه؛ لأنها رضيت به زوجاً، هذه المرأة تـُتعِبُ زوجَها.

ذكروا في كتب الطرائف أن امرأةً تزوجها أعمى، فكانت تستغل عماه فتقول له: آهٍ يا زوجي لو كنت بصيراً لرأيت جمال عيني، آهٍ يا زوجي لو كنت بصيراً ورأيت توُّرد وجنتي، آهٍ يا زوجي لو كنت بصيراً، ورأيت حلاوة نفسي، آهٍ يا زوجي آهٍ يا زوجي.... فما كان من هذا الزوج لمّا طال عليه الأمر، وكَثـُر منها المنُّ والأذى إلا أن قال لها: دعيني منك يا امرأة لو كنت جميلة كما تقولين، لما تركك المبصرون لأعمى مثلي!

إذاً المرأةُ الجميلة يُشترط فيها أن لا تكون معتدةً بجمالها تتكبر على زوجها به.

الأمر الثالث المطلوب في المرأة الجميلة: أن يكون جمالُها محفوظاً بدينها، وإلا فإن المرأة الحسناء بغير دين يحفظها، تـَهلك وتـُهلِك, من هنا ينبغي عليك أن تختار امرأة ديّنة.

وإليكم القصة الشعرية التالية:

برقٌ من العشق لم أضاء لما خبا في القلب
سِرٌّ تسرى كي لم يدرك إلا وقدُ دار نشوانَ به
حبائلها[1] وفوقها الوردُ والريحانُ

فتى على مثله تبكي ... مِن معدِنِ الطِّيْبِ حيثُ
صخرٌ تهاوى على أقدام ... جذعٌ ترنحَّ أمُ غاصت به
تزوجا فإذا الأيام كالحة ... والآن قد كبرت في البيت
صبيَّتان بعمر الزهر ... يا لطف ربك والتيار
صبيَّتان على منوال ... للسوط كسر وللأجفان
لعوبتان تثيران القلوب ... شهيتا مبسمٍ, والقَدُّ
مناكَبٌ سَطَعَتْ في ... صدر حسير تلالى حولَهُ
نادٍ ورقصٌ لقاءاتٌ ... مع الشباب وكلَّ الصيف
لكنما الأبُ يا مسكين أيُّ ... في عِرضِهِ الصَّحْبُ والأغرابُ
الآن تندَمُ والظهر انحنى ... وما تبقى لأجل القلع
حلَّ الذي حلَّ والأمرُ ... فما عليكُ إذا رُمت الردى
من يذكُرِ المصطفى ... تخيَّروا العِرْقَ, إنَّ العِرْقَ

إنَّ الجمال- أيها الإخوة- أمر جميل ومهم، لكنه يحتاج إلى هذه الأمور الثلاثة التي ذكرتها, وإلا فهو القارعة، وهو المَهْلكة، يحتاج أن يكون جمال المرأة لزوجها، ويحتاج أن لا تكون المرأة مفتونة بجمالها، ويحتاج أن يكون الجمال محفوظاً بالدين، فهذي هي المرأة الشريفة والجميلة، والديّنةُ التي تَصْلُح لك. أما المرأة الخلوقة ذات الخلق، فهي التي تحلت بفضائل الخصال، حتى تزرعها في أولادها؛ لأن فاقد الشيء لا

(1) المراد بالخضراء هي: المرأة الجميلة، لكن ليس لها دين، ولا تنضبط بالشريعة.

يعطيه، فالمرأة الكريمة تزرع في أولادها الكرم, والمرأة الصادقة تزرع في أولادها الصدق، والمرأة الحيية تزرع في أولادها الحياء، وهكذا سائر الأخلاق والفضائل. أما الصفة الخامسة والأخيرة في خير النساء فهي: أن تكون مطيعة لزوجها، وكيف يعرف أحدُنا أن هذه الفتاة ستصير مطيعة للزوج؟ انظر إلى أمها في علاقتها مع أبيها، وانظر إلى أختها في علاقتها مع زوجها، فالبنت بنت أمها، وتلميذة أختها، وخير امرأة لك هي المرأة المطيعة لزوجها.

أيها الإخوة الكرام: هذه هي الزوجة التي تعين زوجها في تربية الأولاد: أن تكون شريفة, جميلة, دينة, ذات خلق مطيعة.

وإن مَثَـلَ الزوجين كمثل البيت من الشِّعْر، ولا يُحكَمُ البيتُ من الشعر إذاكان شطره محكماً، والشطرُ الآخرُ متخاذلاً.

أوصى عثمان ابن أبي العاص أولادَه في تخيُّر زوجاتهم، فقال: يا بَنيَّ: الناكحُ -يعني الرجل الذي يريد الزواج- مُغْترِسٌ يزرع غرساً، فلينظر امرؤٌ حَيثُ يضعُ غرسَه, والعِرْق السوءُ قلّما يُنجِبُ إلا مثلَه فتخيَّروا.

أختم خطبتي بثلاث نصائح لكلّ شاب يريد الزواج، ويبحث عن زوجة، وبثلاث نصائح للمتزوجين فينا، أما النصائح الثلاث للشباب الذين يريدون الزواج :

1. لا تسأَلْ عن المدرسة التي تعلمت بها الفتاة قبل أن تسأل عن البيت الذي رُبيت فيه الفتاة.

2. تزوَّجْ فتاةً أمُّها صالحة، ما معنى صالحة؟ تُحسنُ عبادةَ ربها، وطاعةَ زوجها، ورعايةَ بيتها, هذه هي المرأةُ الصالحة! وإذا كانت الأم بهذه الصفة فالغالب أن البنت قريبةٌ من أمها.

3. اختر زوجةً توافقك مشرباً وطباعاً وأخلاقاً.

هذه هي نصائحُ ثلاث لكلّ شاب يبحث عن زوجة.

أما النصائح الثلاث للمتزوجين فينا:

1. ارضَ بما قسم الله لك في زوجتك، والرضا بقضاء الله ركن من أركان الإيمان.
2. أُدعُ لزوجتك، وعلّمْها ما تريد بلطفٍ ورحمة.
3. خذ بيدها، واذهبا معاً إلى مجالس العلم.

والحمد لله رب العالمين